التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة التاسعة عشرة، العدد السابع، نيسان ٢٠٢٣

مختارات آبائية

القديس يوستينوس بوبوفيتش: عظة لأحد المخلع عند بركة بيت حسدا

حياة روحية / لاهوت

الميتروبوليت أوغسطينوس كانتيوتيس: احتمال المخلّع ومعنى الحياة

الميتروبوليت أنتوني بلوم: أحد القديسين حاملات الطيب ويوسف الرامي ونيقوديموس

الأرشمندريت أليشع: قيامة الجنس البشري

دير القديس يوحنا المعمدان المقدس، كارياس، أتيكي، اليونان: أترجى قيامة الموتى

الأستاذ جورج مانتزاريذس: الغريب

المتقدم في الكهنة الأب جورج فلوروفسكي: "دعونا نختار الحياة"

قصة قصيرة

الأب نقولا وهبة: حَبَّةُ خَرْدَل

عظة لأحد المخلع عند بركة بيت حسدا

القديس يوستينوس بوبوفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

المسيح قام! حقاً قام!

في أربع كلمات يُعبّر عن السر الكامل لهذا العالم (والآخَر)، سر كل شخص ، وسرّ كياني، وسر كيانِكم. لو لم يكن هناك رب قائم لما كانت قيامته. لو لم يكن هناك رب قائم لما كنا نحن. ولَما كان هناك مسيحيون في العالم.

كيف غلب السيد المسيح هذا العالم، وكيف غلبت المسيحية هذا العالم؟ أنتم تعلمون أنه في بداية المسيحية، اضطهدت الإمبراطورية الرومانية العظيمة القوية المسيحيين في كل مكان لمدة ٣٣٠ عاماً. لم يدافع المسيحيون عن أنفسهم بالبنادق والطائرات، لا! دافعوا عن أنفسهم بالصلاة ومعونة الله. ولمدة ٣٣٠ سنة حوّلوا الذئاب إلى خراف. تذكروا كلمات المخلص لتلاميذه: "ها أنا أرسلكم كخراف في وسط ذئاب" (متى ١٠:١٦). لقد حدثت معجزة عظيمة أيها الإخوة: تحوّل الذئاب إلى خراف، ولم تأكل الذئاب الخراف، ولم تمزقها وتهلكها. ما هذا؟ ما هذه القوة؟ هذه هي القوة التي سمعتم عنها اليوم في كلام الرسول بطرس عندما قال لإينياس: " قمْ" فقام على الفور (أعمال ٩:٣٤)؛ ولما قال لطابيثا: "قومي" قامت من الموت كما من نوم (أعمال ٩:٤٠). ما هذا، ماذا حدث لهذا العالم؟ لقد أُظهِر سر عظيم، سر هذا العالم وسر الإنسان. ماذا تُظهِر قيامة السيد المسيح؟ إنها توضح أن الإنسان كائن أبدي. هُزِم الموت: هذا ما تعنيه قيامة السيد المسيح. صارت الحياة الأبدية بوفرة لكل الوجود البشري. لهذا جاء الرب إلى هذا العالم.

لطالما كان هذا العالم دائماً تحت قوة الموت الرهيب. ما هو الأمر الأفظع من الموت؟ لا شيء! هذا الكوكب بأكمله، أرض الله المقدسة هذه، كانت جبّانة ولحداً، قبراً هائلاً، والناس يُجتَثّون إلى هذا القبر الواحد تلو الآخر. هكذا أظهر لنا السيد المسيح بقيامته أننا جميعاً كائنات أبدية وأننا مخلوقون للحياة الأبدية. نعم، للحياة الأبدية ولا شيء أقل من ذلك. يقول الرسول بولس: "إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ" (١ كورنثوس ١٥:١٤). ما هو المسيح عندنا إن لم يكن قد غلب الموت؟ كيف نختلف إذن نحن المسيحيين عن الآخرين؟ انظروا هنا: اليوم وأمس ودائماً عبر تاريخ الكون، هناك دائماً أناس بواسل، أبطال. لكن مَن هم وما هم؟ بعوض...

وحده الربّ المسيح قاهر الموت ومانح الحياة. في هذا تكمن عظمته الاستثنائية. إيماننا هو إيمان بقيامة السيد المسيح وقيامتنا. قام المسيح أي أننا جميعاً قد قمنا! قام ليمنحنا الحياة الأبدية، ليضمن لنا النصر على الموت، هذا النصر الحقيقي الوحيد في هذا العالم. كل الانتصارات الأخرى هي مجرد مهازئ. يموت ملايين الناس، من أجل ماذا؟ لماذا يموت الناس اليوم؟ ليس للسبب الذي من أجله خلقوا، ليس من أجل الحياة الأبدية، بل من أجل أشياء أرضية قابلة للفساد، بسيطة وتافهة.

عندما ينسى الناسُ الله في جنونهم، وعندما يضطهد الناسُ السيدَ المسيح في جنونهم، ماذا يحدث لهؤلاء الناس، ماذا تكون هذه الأرض عندها؟ هذه الأرض تكون إذن بيت مجانين! اضطهاد السيد المسيح، الكائن الأسمى في هذا العالم، أعظم محبٍ للبشرية - ما هذا؟ هذا جنون، هذيان. نحن البشر، نحوّل هذا العالم، نجم الله الصغير هذا المسمى الأرض، نجعله بيت مجانين. لذلك، كل دينونة للإنسان والبشرية هي عادلة. نحن جميعاً مسؤولون في هذا العالم عن الموت في هذا العالم، وعن الخطيئة في هذا العالم، وعن الشيطان في هذا العالم. ماذا سيحدث لنا إذا باشرنا حرباً على الله؟ نحن دائما أضعف منه. سنكون مهزومين دائماً.

انظروا كم هناك من الأموات، كم هو عدد الجثث عند الشعب الصربي فقط. يرفض الناس السيد المسيح ويرفضون الحياة الأبدية من أجل ماذا؟ ماذا يقدم لهم هذا العالم؟ لكننا نقف مع الرسول بولس من أجل الحقيقة الأبدية: المسيح قام لنقوم نحن أيضاً (١ كورنثوس ١٥:٢٠-٢٣). هذه هي الحقيقة الأساسية بالنسبة لنا كمسيحيين. الكنيسة الأرثوذكسية تمجّد قيامة السيد المسيح، عيده، ليس ليوم أو يومين، بل لأربعين يوماً - حتى الصعود - تمجّد باستمرار قيامة السيد المسيح. وليس في هذه الفترة وحسب: بل تُمجّد قيامة السيد المسيح كل يوم أحد. كل يوم أحد، أيها الإخوة، نتذكر قيامة السيد المسيح. القيامة؟ إنها لا تشيخ في نفوسنا. إن قوة السيد المسيح تنسكب علينا من خلال قيامته المقدسة، من خلال هذا الفرح اللامتناهي.

سمعتم اليوم من القراءة من القديس يوحنا اللاهوتي ما قاله عن السيد المسيح: "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ.. رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ" (١ يوحنا ١:١-٢). بهذا نشهد لك أيها السيد المسيح الذي يهب الحياة الأبدية. نحن، مثل تلاميذه، تناولناه بأيدينا. إن المسيحية التي اضطُهدت منذ ما يقرب الألفي عام أصبحت أقوى من كل الأشياء الأرضية. ستأتي الكثير من الكوابيس والعواصف، لكن كنيسة المسيح ستبقى ولن تهلك. الناس يموتون ولكن ليس الكنيسة! الناس يموتون ولكن ليس الكنيسة! يقول القديس يوحنا اللاهوتي ، وهو الرجل الذي شهد ويشهد بكل كيانه وكل قناعته بأن المسيح هو إله-إنسان: إذا كنت تريد أن تقتني الحياة الأبدية، فآمِنْ بالسيد المسيح، بقيامته، بما فعله (أنظر ١يوحنا ٥:٥، و ١٢-١٣).

انظروا إلى الرسول بطرس كيف يقيم الناس ويصنع المعجزات. الأغنام تحوّل الذئاب إلى أغنام وحملان. يقوم القديس باسيليوس أوستروج اليوم أيضاً بعمل المعجزات، كما القديس بروكوروس باتشينيا، وجميع القديسين (الصرب) الذين لا حصر لهم. كيف هذا؟ من قيامة السيد المسيح، من العيد الذي نحتفل به لمدة أربعين يوماً مع كل أحد على مدار السنة بأكملها. هذا ما يدعمنا نحن المسيحيين في هذا العالم. نحن نضحك من مضطهدينا. لا نخاف الموت، نحن أبناء الربّ القائم من بين الأموات، لأنه أعطانا القوة والقدرة لنهزم كل ما يفصلنا عن الله، يبعدنا عن برّه وحقه وصلاحه.

ليثبتنا الرب الصالح القائم من بين الأموات من خلال تلميذه القديس يوحنا، من خلال والدة الإله القديسة، ومن خلال جميع القديسين، في هذا الإيمان بقيامة السيد المسيح، بقيامتنا، بحقيقة أننا كائنات أبدية. إن دعوتنا في هذا العالم هي إظهار قيامة الأموات والانتصار على الموت. يختبر كل منا هذا الانتصار على الموت

عندما نعيش بحسب الإنجيل، وعندما نجتهد في الإيمان بالرب وبالمحبة والصلاة لنتمم حياتنا. كل هذا، المحفور بعمق على أرواحنا، سيقودنا إلى الحياة الأبدية.

Source: St. Justin Popovich. Homily on the Sunday of the Paralytic at the Pool of Bethesda. Delivered on the Sunday of the Paralytic and the Feast of Saint John the Theologian at the Ćelije Monastery on May 8, 1978. http://ishmaelite.blogspot.com/2009/05/fr-justin-on-sunday-of-paralytic.html

احتمال المخلّع ومعنى الحياة

الميتروبوليت أوغسطينوس كانتيوتيس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

" وكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً"

السؤال الذي يُطرح أيها الأحباء هو: ما هي الحياة؟ أهي متعة؟ أهي تسلية؟ أهي رقص ومرح؟ هل هي "فلنأكل ونشرب لأننا نموت غداً"؟ الكثير من الناس يفكّرون بهذه الطريقة، وخاصة الشباب في عصرنا، الذين تنجرفهم الأفكار المادية والإلحادية ويعتقدون أن السنوات القليلة التي سيعيشونها على هذا الكوكب يجب أن يعيشوها بسعادة وبأكبر قدر ممكن من المتعة. إنهم يتبنّون كشعار شيئاً من العبارة الإيطالية "دولتشي فيتا"، والتي تعني "الحياة الحلوة". بالنسبة لهم، الحياة الحلوة تعني العيش ليلاً ونهاراً في مراكز التسلية المختلفة، والرقص الجامح وغناء الأغاني الفاحشة، والانخراط في السلوك الصاخب، وتعاطي المخدرات لتحقيق جنة كيميائية من المتعة لبضع ساعات. بمجرد مرور تلك الساعات، يقع هؤلاء البائسون في حالة رهيبة من الاكتئاب والإحباط.

بالنسبة للذين يتفحّصون الأشياء بشكل أعمق ويفكرون فلسفياً، فإن للحياة معنى أكبر. إن حياة الفضيلة والالتزام ليست مثل طريق ممهد سلس، ومناظر طبيعية مع شجيرات وأزهار يستمتع بها سائقو السيارات المارة؛ إنها تشبه الطريق الضيق والتلال، حيث يواجه سائقو السيارات العديد من العوائق والآلام والتجارب. كما يلاحظ أيوب، إن حياة الإنسان هي تجربة. وما هي التجربة؟ إنها حياة مليئة بالإغراءات والأحزان والضيقات. كما يخرج الذهب من أعماق الأرض نجساً ويُلقى في أتون النار حيث تحترق كل العناصر التي لا قيمة لها ويصبح الذهب نقياً، بنفس الطريقة يجب أن يمر الإنسان عبر أتون الضيق والتجربة الملتهب لكي يتطهر من عيوبه ورذائله وأهوائه.

ومع ذلك، كان هناك وقت لم يكن فيه الإنسان بحاجة إلى التطهر. كان نقياً ونظيفاً. متى؟ عندما عاش بالقرب من الله في الفردوس. ولكن عندما أخطأ الإنسان، لوّثت الخطيئة عالم روحه، وأصبح مليئاً بالشرور والعيوب، مثل الذهب النجس الذي يحتاج إلى التنقية والتطهير. منذ ذلك الحين، بعد سقوط الإنسان الأول، بدأت العذابات والآلام والتجارب. الأرض التي كانت نقية فواحة برائحة الزهور الجميلة، أصبحت برية وأخذت تخرِج الأشواك. لاقتلاع الأشواك وجعل الأرض منتجة، كان على الإنسان أن يدمي يديه. صارت الحيوانات المروّضة بريّة وتحولت إلى وحوش تخيف بزئيرها الإنسان. امتلأت الأنهار وفاضت، مما تسبب بفيضانات وكوارث. بدأت الأرض تهتزّ بفعل الزلازل المخيفة. الإنسان أيضاً، الذي كان في يوم من الأيام سليماً وخالداً، أصيب بالمرض والألم والموت بسبب الخطيئة.

ثم أصابت الآلام الإنسان من تقلّبات عناصر الطبيعة، من الزلازل والفيضانات. نتجت الآلام من المرض والموت. وأيضاً أصابته من أخيه. هنا كانت أعظم. أصعب الآلام احتمالاً هي تلك التي تأتي من الأصدقاء والأقارب، الذين بسبب الشر الذي بداخلهم يصبُّون البلاء كالسم. بسبب هذا الشر المتأتّي من أخيه الإنسان، عانى الإنسان من ويلات كثيرة وعظيمة. الظلم والسرقة والإهانة لشرف العائلة والفسق والزنا والكذب والاغتياب والافتراء والأذى والقتل والجرائم والحروب المرعبة التي تجعل الأرض محنة لا نهاية لها - كل هذا يشكل بئرَ محنةٍ هائلٍ للإنسان.

حيثما يذهب الإنسان سيواجه آلاماً، أحياناً من عناصر الطبيعة وأحياناً من شر وحقد إخوانه، وأحياناً من نفسه. بعض الآلام تأتي من الشيطان الذي يحاول تدمير الإنسان. أخيراً، تأتي بعض الآلام من الله كلي القدرة والخير والحكيم لغرض تطهير البشرية الخاطئة.

يبحر الإنسان في محيط من الأحزان. هذا أكّده المسيح عندما قال: "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يوحنا١٦:٣٣). لم يكن هناك، ولا يوجد، ولن يكون هناك مَن لا يضطر إلى مواجهة البلاء. إذا وُجدَت جزيرة غير محاطة بالبحر، \عندها قد يوجد رجل لا يُبتلى بالأحزان.

المشكلة هي كيف يواجه الإنسان المحنة؟ كثير من الناس يمجّدون الله عندما يكونون أصحاء ومحافظهم ممتلئة وأبناؤهم زاهون، وحياتهم تسير كما هو مرسوم. ولكن عندما يقطع الضيق الطمأنينة يفقدون رباطة جأشهم ويلعنون يوم ولادتهم. يصبح البعض يائسين لدرجة أنهم ينهون حياتهم بالانتحار.

أيها الإنسان المعذّب في الدنيا! عليك أن تتسلّح بالصبر للتغلب على الحزن. لاقتناء الصبر، يجب أن تفتح الكتاب المقدس وتقرأ ما يقوله عن الضيق والغرض الذي يخدمه؛ اقرأ عن تلك الأمثلة الرائعة عن الصبر.

في الكتاب المقدس أمثلة كثيرة عن الصبر. أحد الأمثلة على ذلك هو المخلّع في قراءة إنجيل يوم الأحد. إنه بطل أعظم من ذاك المنتصر في ساحات القتال الذي ينال أوسمة الشجاعة.

دعونا نلقي نظرة على حياة هذا البطل. لقد عاش في محيط من الآلام. ليس أياماً ولا أسابيع ولا سنوات قليلة فحسب، بل كان مريضاً طوال ثمانية وثلاثين عاماً، وهو مشلول بالكامل. ومع ذلك لم ينتحب ولم يجدّف ولم يلعن يوم ولادته. بصبرٍ يذكّر بصبر أيوب، قضى أيام بلائه مؤمناً أن الله لم يتركه، بل سيظهِر له يوماً رحمته. وقد أظهر الله رحمته. جاء بنفسه، يسوع المسيح، الإله الحقيقي، وشفى المخلّع. كل الذين رأوا اندهشوا من هذه المعجزة. في ذلك اليوم نال المخلّع أجرة الصبر، وهو بطل الصبر، من المسيح الضابط الكل.

عسى أن يُكافأ كل منا - رجالاً ونساءً، كل مَن يعاني منّا من الآلام - على الصبر. لكي نتحمل، دعونا نفكّر في أبطال الصبر كالمخلع، وخاصة ملك الألم والحزن ربنا يسوع المسيح الذي قال: "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ."

* عظة في أحد المخلع حول يوحنا ٥:١-١٥

Source: Drops From the Living Water: Orthodox Homilies On the Sunday Gospel Readings by Augoustinos N. Kantiotis; pp. 60-64.

أحد القديسين حاملات الطيب ويوسف الرامي ونيقوديموس*

الميتروبوليت أنتوني بلوم

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

باسم الآب والابن والروح القدس.

نحتفل اليوم بعيد عددٍ من أتباع المسيح الذين نادراً ما نفتكر بهم لقلة ورود ذكرهم في الكتاب المقدس، فيما يمكن أن يكون كلٌ منهم درساً لنا.

كان القديس يوسف الرامي رجلاً ثرياً استمع إلى المسيح بذهن متفتح دون أن يلتزم. ولا نيقوديموس التزم؛ نيقوديموس كان رجلاً مثقفاً، عضواً من السنهدريم. كان يستمع إلى المسيح، وكان يطرح عليه أسئلة ويريد أن يفهم، ويريد أن يتأكد. لكن أياً منهما لم يلتزم باتّباع المسيح، ولا بإعلان نفسه تلميذاً له.

ومع ذلك، عندما بدا المسيح مهزوماً في أعين الجميع، وعندما جاء النصر لأعدائه، وعندما مات وكان على وشك أن يُدفن، برز إخلاصهما للذي علّمهما كلمات الحياة. انضمّا إلى والدة الإله لإنزال جسد المسيح ودفنه. ذهبا بجرأة إلى بيلاطس البنطي وطلبا هذا الجسد حتى يتمكنا من دفنه باحترام. طوال حياته كانا يستمعان إليه بعقل متردد ولكن منفتح. عندما جاء الموت قفز إخلاصهما إلى الواجهة. إذ نظرا آلام والدة الإله والقديس يوحنا الرسول لم يبق فيهما شك؛ يجب أن يعلنا عن نفسهما، لأنهما لا يستطيعان قبول التخلي عنه في الهزيمة بعد أن كان معلمهما ومرشدهما وصديقهما.

ثم هناك مجموعة أخرى من الناس، النساء حاملات الطيب، وهن مجموعة من النساء اللواتي كن يتبعن المسيح ويخدمنه وتلاميذه في حاجتهم. عندما صُلب المسيح هرب كل الرسل باستثناء القديس يوحنا وهؤلاء النساء. لم تكن القناعة الفكرية هي ما جعلهم تلاميذاً للمسيح. بل كان شيئاً ربما يمكن تعريفه من خلال كلمات السائرَين إلى عمواس: "لم يكن قلبنا مضطرماً فينا عندما كان يحدّثنا في الطريق". على طول الطريق من الجليل إلى أورشليم، من سلام الأرض إلى مأساة أورشليم، كل هذا الوقت كانا يسمعان فعاد قلباهما إلى الحياة – لا من محبة شخصية بل من إحساس عميق بالحياة الأبدية. هذه هي الكلمات التي قالها أيضاً القديس بطرس في وقت سابق، عندما غادر معظم الناس الذين حولهم، والتفت المسيح إلى تلاميذه وقال: هل ستذهبون أيضاً؟ فقال بطرس: إلى أين نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك؟ هذه الكلمات لم تكن مجرّد حجج عقلية، أو براهين، أو أساليب للإيحاء بالأشياء. عندما تكلّم، ما أستيقظ فيهم كان الحياة الأبدية، باب الحياة الأبدية هو الذي جاء إلى الحياة. لقد عرفوا أن هذه الكلمات كانت صحيحة لأن فيها حياة جديدة. وعلى هذا المنوال كان الأمر بالنسبة لهؤلاء النساء.

لذلك نحتفل اليوم بعيد الأشخاص الذين أثبتوا أنهم مخلصون، والذين لم يهربوا في ضعفهم، والذين ظهروا فجأة تلاميذاً وأوفياء في مواجهة الهزيمة والمآسي. فلنتذكرهم، لا لننظر إلى مجدهم كما فعلنا اليوم في الخدمة، ولكن أيضاً لنسأل أنفسنا: هل ننتمي، وإلى أي حد، إلى المثال الذي قدمه هذا أو ذاك منهم؟ هل يمكننا

أن نقول أننا في مواجهة هزيمة المسيح سنخرج ونقول: أنا أحد تلاميذه، على الرغم من أنني في الوقت الذي لم يكن هناك خطر من حولي، كنت متردداً وغير واثق، أسأل نفسي أسئلة، لا بل بالحقيقة أسأله هو؟ هل أحد منا يوسف الرامي، هل أحد منا نيقوديموس، أنستطيع أن ندّعي إننا مثل هؤلاء النساء حاملات الطيب، اللواتي لم تستطع حاجات المسيح ولا هزيمته ولا موته أن يغرّبهم عنه؟

ما من أحد منا كامل؛ ولكن لنتعلّمْ منهم ونحاول أن ننمو إلى تلك الأمانة التي أظهروها: النساء طوال حياة المسيح، والآخران في مواجهة هزيمته. آمين.

* عظة في أحد حاملات الطيب، ١١ أيار ١٩٩٧

Source: Metropolitan Anthony Bloom. Sunday of the Myrrh-Bearing Women. Celebratory speeches. Pemptousia. 29 April 2023. https://pemptousia.com/2023/04/sunday-of-the-myrrh-bearing-women-2/

قيامة الجنس البشري

الأرشمندريت أليشع، رئيس دير السيمونوبترا، أثوس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في الخدمة المهيبةِ يومَ الجمعة العظيم، أنشدنا قطعة "المجد" الرائعة الآسرة في الساعة التاسعة "اليوم عُلّق على خشبة الذي علّق الأرض على المياه"، والتي تنتهي بـ "نسجد لآلامك أيها المسيح. فأرِنا قيامتك المجيدة". بعد ذلك، في قطعة "المجد" على صلاة غروب يوم السبت العظيم، اليوم الذي "استراح فيه ابن الله الوحيد من كل أعماله، من خلال تدبير الموت"، رأينا أن الرب قد استراح في الجسد، لأن هذا هو السبت المبارك، يوم راحة الرب العظيم.

واليوم ، "يعود صانع السماء والأرض إلى حيث كان..." ويظهر لنا قيامته المجيدة. لذلك جاء يوم الفصح المقدس هذا العام كنسيم منعش في هذا العالم المضطرب والمحاصر. لقد جاء، عاد حياً، ليملأنا بالفرح ويوقظ فينا الإحساس العميق بأننا أبديون وأن عدونا الأخير، الموت الرهيب، قد هُزِم الآن.

لقد فتح لنا الرب القائم من بين الأموات الطريق إلى السماء من جديد، "محطماً البوابات البرونزية". لقد أقامنا وصالحنا مع الله الآب وأزال العقبات أمام تقدمنا بلا عوائق نحو الأبدية، "المدينة الباقية " السماوية الراسخة. كل عام، مع الترانيم والتسابيح والأوديات والطروباريات و"الدف والرقص" والرموز والاحتفالات، مزينة بالمواد الثمينة، والفن، والأثواب المعطرة والزهور، حتى مع أطعمة مختارة، وبعبارة أخرى مع كل ثرواتنا الإنسانية، الطبيعية والروحية، تحاول الكنيسة أن تدخلنا في هذه الأجواء البهيجة. كل شيء يفيض بالفرح والحماس والحيوية، ليمنحنا طعم مجد الملكوت وعذوبته، ويصل بنا إلى تجلي نفسنا العظيم: إننا اليوم نحتفل، ليس فقط بقيامة الرب، وهي الدليل على قوة الآب، ولكن بشكل خاص، بقيامتنا وميراث الحياة الأبدية، اللذين منحنا إياهما المسيح كعطية فريدة نهائية بموته وقيامته.

إن القديس لوقا الإنجيلي هو أول من نقل جواب الرب بخصوص قيامة الأموات: " الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلًا لِلْحُصُولِ عَلَى ذلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ.. لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضًا،لأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلاَئِكَةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ، إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ". كما أن القديس بولس يقول بجرأة ووضوح غير عاديين في أصحاحه عن قيامتنا: " إِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ... إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ."

ولكن الحقيقة هي أن المسيح قام وأسس قيامة جميع الراقدين. لأنه كما جاء الموت إلى العالم بإنسان واحد، كذلك، بإنسان آخر جاءت القيامة من بين الأموات. فكما نموت جميعاً من خلال قرابتنا لآدم، كذلك بسبب قرابتنا للمسيح، فإننا جميعاً نعود إلى الحياة.

إذن ، فإن مفتاح قيامتنا مصنوع من ذهب قيامة الرب الثمين الذي لا يتلف ولا تشوبه شائبة. بدون قيامة الرب، أي خير هي الأعمال والجهادات والتضحيات؟ كما يقول القديس بولس عدة مرات، لماذا نجازف بحياتنا

كل يوم؟ "إِنْ كُنْتُ كَإِنْسَانٍ قَدْ حَارَبْتُ وُحُوشًا فِي أَفَسُسَ [لأسباب بشرية بحتة لا من أجل الله ورجاء الخيرات الآتية]، فَمَا الْمَنْفَعَةُ لِي؟ إِنْ كَانَ الأَمْوَاتُ لاَ يَقُومُونَ، «فَلْنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنَا غَدًا نَمُوتُ!»".

إن أساس إيماننا الأرثوذكسي هو على صخرة قيامة الرب التي لا تتزعزع. من حيث الجوهر، هذا ما نعترف بـه، وهذا مـا نحتمـل ونمـوت من أجلـه، مؤمـنين بقيامتنـا وراجين إياهـا. إن قيامـة الـرب هي حـوار محبٌ بـالكلام والفرح والشركة مع الله والحديث باسمه. إنها ما جعله رجاءَنا الحيَّ الشخصي في خضمِّ جهاد الحياة الروحيـة الجبار ضد الخطيئة التي تريد أن تعيدنا إلى الناموس وتخضعنا لرباطاتهـا. إن الخطيئـة فعليـاً لا تسـيطر علينـا لأننا تحت النعمة ولسنا تحت الناموس.

كل يوم، وفي كل لحظة، يمنحنا المسيح، الذي صار رجاءنـا، الفرصـة لنُنهِضَ أنفسـنا من بعـد زلاتنـا ونتحـرر من عبودية الخطيئة التي تخضعنا لناموسها وتتملَّك أعضـاءنا. يصـرخ القـديس بـولس بحـقٍّ: "وَيْحِي أَنَا الإِنْسَـانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَـدِ هـذَا الْمَـوْتِ؟" ويجيب على الفـور: " أَشْـكُرُ اللهَ بِيَسُـوعَ الْمَسِـيحِ رَبِّنَـا!". يسـوع المسيح، ربنا القائم من بين الأموات، لأنه الآن مـا من إدانـة لشـعبه... بسـببه، قـانون الـروح الـذي يعطي الحيـاة حرَّرنا من ناموس الخطيئة والموت.

وهكذا، فإن قيامة الرب ليست مجرد رسالة عظيمة أو أبدية، بل هي تشكّل حـدثاً يوميـاً وتجربـة شخصـية في مسار حياتنا على الأرض. ما من شيء سوى القيامة قويٌ وملائمٌ بما يكفي لتزويدنا بالتعزية والقوة والشجاعة. لا شيء آخر يمكن أن يمنح الحياة والسعادة والمجد المستقبلي لنا وللإنسانية جمعاء.

إن روح الآب، الآب الـذي أقـام يسـوع من بين الأمـوات، سـيعطي الحيـاة لأجسـاد الـذين مـاتوا من كـل أنـواع المعاناة والشكّ والتساؤل والتجارب. سيفعل ذلـك من خلال نَفَسـه الـتي يسـكن في داخلهم، عنـدما يُلبَسُ هـذا الجسد الفاسد البقاء، عندما يرتدي المائتُ عدم الموت. عندها ستصدق كلمات القديس بولس: "ابتُلع الموت في الغلبة. اين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا جحيم؟"

لكن قيامة الرب لم تجعلنا غير قابلين للفساد والتحوّل هنا والآن، بل ترك الله لنـا قابليـة التحـوّل كبركـة للوفـاء بوعده الأصلي لنـا: أي حريتنـا. لم تغيِّر سـقطتُنا نيـة الله. لقـد تغيّـرت خطتـه وحسـب، لكنـه أبقى على الحريـة كعنصر أساسي في الطبيعة البشرية، والتي لا يمكن أن تلغيها أي خطيئة أو كارثة أو حرب أو جائحة أو ظروف قاسية. إن قابلية التحوّل، كما يقـول اللاهـوتي السـامي القـديس غريغوريـوس النيصـي، ليسـت مجـرد فرصـة للتغيّر إلى الأسوأ، إذ عندها لن يُنجَ ز أي خـير، إذا كـانت الطبيعـة البشـرية تميـل باسـتمرار نحـو العكس. والآن أعظم إنجاز للتحوّل هو ممارسة الفضـائل. إن ذلـك مثـل الجنـاح الـذي يسـاعد على التحليـق نحـو الأعلى بـدل التدهور. بهذه الطريقة، يصبح "الشيء الرهيب وهو قابلية التحوّل" قوةً للتغيير نحو الأفضل. يحثنـا القـديس على ألا نحزن عندما "نرى ميل طبيعتنا نحو التحوّل، فلنتغيّر للأفضل، نتحول من مجد إلى مجد".

أخيراً، قيامة الـرب فتحت وجـددت المصـالحة بين غـير الفـاني والفـاني. سـمحت بـدخول النعمـة الإلهيـة غـير المخلوقة إلى الإناء الخزفي، كما كـان الحـال في الفـردوس، حـتى يتمكن الـرب، بعـد قيامتـه، من الـدخول إلى المكان الذي كان يجتمع فيه تلاميذه "خلف الأبواب المغلقة". لقد كانوا يتحـدثون عمـا جـرى في أورشـليم: أن

الرب قد قام. وأنه قد ظهر لهم في عمواس "عند كسر الخبز". "ظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا"، لكنه هدأهم وقال: " اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي». وَحِينَ قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ" ليقنعهم تماماً.

إذن، في شخص المسيح يتعايش المخلوق وغير المخلوق في نفس الوقت، بدون تشويش أو انقسام. النعمة الإلهية للروح القدس في هيكل جسد المسيح، الذي هو إله وإنسان، وهي كعطية بالنعمة في هيكل جسدنا نحن البشر الخالصين. في العالم الطبيعي، العنصر الرئيسي والأسرع والأكثر إبلاغاً في أعماله هو النور الذي نشأ بكلمة الله الخالق.

في العالم الروحي، عالم العلاقة والشركة المتبادلة مع الله، يكون النور مرة أخرى هو الوسيلة المباشرة. نور الشمس يضيء الطبيعة، ونور الله الحقيقي "ينير كل إنسان آتٍ إلى العالم"، حتى أننا "بنور شخص المسيح" يمكننا أن نرى النور غير المادي الذي يتعذر الوصول إليه. على مر العصور، ختم هذا النور كل ظهور إلهي يستعلن في أحداث وأشخاص شعب الله. إن النُّور الذي انبعث في ساعة القيامة من قبر المسيحِ " الأكثر بهاءً من خدر العروس"، هو نور شخص المسيح، إنه هويته الخاصة، إنه قوته العجائبية، إنه نعمته التي تختم حياة جميع القديسين بلا استثناء، القدماء والمعاصرين.

في محادثة خاصة مع القديس إفرام الكاتوناكي الذي أُعلِنَت قداسته حديثاً، ذكرَ أنَّه، في الاختطاف الروحي، رأى المسيح "في كل مجده". صعد إلى قمة التل بجانب قلايته وصرخ في كل مكان، حتى إلى الملائكة، ليبتعدوا عن الطريق ولا يعيقوا هذه المعاينة للنور الإلهي. وهو لم يكن وحده في هذا. يخبرنا القديس بايسيوس أن الرهبان العاديين ذوي القلوب الطاهرة، الذين فقدوا بصرهم الجسدي، يمكنهم رؤية النور الحقيقي وأن كل ما يحيط بهم - قلاليهم، الجداول، والوهاد - كان مملوءاً بنور المسيح. لقد منحتنا قيامة المسيح نورَه الذي لا يغرب ولا يخفت أبداً.

إن حواسنا الطبيعية والروحية، على وجه الخصوص، مؤقلمة على النور الإلهي. إن نوسنا وروحنا يستنيران؛ يفهمان ويشعران؛ يتحدان ويكتسبان القوة؛ ويبدآن المهمة الكبرى المتمثلة في التقرّب من الله ومعرفته. كما يقول قديس عظيم آخر، نيكولا أوخريدا (فيليميروفيتش)، إن الأشخاص الذين يركّزون على أنفسهم ويتّحدون بأنفسهم يتمتعون بقدر كبير من القوة في هذا العالم؛ إنهم قائمون من الموت. ويضيف الشيخ إميليانوس أن خبرة تلقي نور القيامة هي شيء نشعر به كانعكاس في أعماق وجودنا... ولكننا في الجوهر نرى عمق ألوهية المسيح... هذه أشياء منحها الله لا للحكيم أو الذكي ومَن شابه، بل للذين يبسّطون وجودهم... ويثبّتون أعينهم الداخلية على الله. هؤلاء هم الناس الذين يهبهم الله المعاينة".

إذ نحفظ مواهب قيامة الرب ككنوز ثمينة، فلنقدّمْ له، أيها القراء الأعزاء، بعض كلمات صلاة مستعارة من الشاعر الكبير والفيلسوف والقديس نيكولا أوخريدا: 'إيماني يراك يا رب؛ إنه نور عينَيَّ وبصيرتهما... رجائي ينتظرك يا رب. إن توقعك هو المحتوى الوحيد والمعنى الوحيد لِغدي والأيام التي تليه... (أعلم أن) السماء لا تحقق الآمال بل الرجاء. المحبة تجعلني الله وتجعلك أنت، يا الله انساناً!'

الرب كائن ويكون الربَّ القائمَ من بين الأموات، هو ربي القائم من بين الأموات الذي أقام الموتى "من انفجار الصبح إلى الليل". ما الذي يليق بالله الحي أكثر من إقامة الأموات في الحياة؟ فليؤمن الآخرون بإله يستدعي الناس ويدينهم. أنا ألتصق بالله الذي يقيم الأموات.

لقد أشرق النور من القبر؛ هلموا خذوه. الآن بشكل باهت، لكنه أكثر قوة في يوم ملكوت الله الأبدي. لنضمّ صوتنا إلى صوت أبينا القديس يوحنا الذهبي الفم: "لأن المسيح قام من بين الأموات وصار باكورة الراقدين. له المجد الى دهر الدهور. آمين".

Source: Archimandrite Elisaios, Abbot of the Holy Monastery of Simonos Petras. The Resurrection of Mankind. On 15 April 2023, https://pemptousia.com/2023/04/the-resurrection-of-mankind-1/, 16 April 2023, https://pemptousia.com/2023/04/the-resurrection-of-mankind-2/

أترجى قيامة الموتى

دير القديس يوحنا المعمدان المقدس، كارایاس، أتيكي، اليونان

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إنه الحدث المؤكّد لدى كل واحد منّا بشكل تامّ: سيأتي الموت عاجلاً أم آجلاً. ومع ذلك، بالنسبة لمعظم الناس، تبقى نهاية الحياة غير مرغوب بها إلى حد كبير ويجب مقاومتها بحزم. هذا لأننا، خلال مسار حياتنا على هذه الأرض، لم نتغذَّ على توقّع "الآتي" ولا نعتمد على حجر زاوية الرجاء في المسيح. كوننا أحفاد آدم، نتفاجأ بظاهرة الموت، لأننا خُلقنا بالتأكيد للحياة الأبدية. إن رؤية جسد أحد الأحباء يرقد بلا نَفَس تحجب رجاءنا أيضاً.

اليوم، على وجه الخصوص، ينكبُّ الناس على ما يمكن رؤيته، وما يمكن إثباته في المختبر أو تقديمه كأمر مسلّم به، أمر يتخطى الشكّ. هذا هو سبب فقدهم لكل الاهتمام بما يحدث بعد الموت، وعلى وجه الخصوص بما أمات بداخلهم كل رجاء بالقيامة والخلود.

يشير القديس يوحنا الذهبي الفم إلى الظاهرة الغريبة التالية: يستثمر الزارع رزقه في الأرض الطريّة التي يحرثها بعمق ويغذّيها بوفرة بالبذور الجيدة والرجاء. حقيقة أن البذور سوف تتعفن وتختفي لبعض الوقت لا تعنيه بطريقة سلبية، ولا تحرمه من توقعه لنمو جديد وحصاد جيد. ولكن عندما يتعيّن علينا وضع جسد هامد لشخص نحبه في الأرض المفلوحة حديثاً، فإننا لا نشعر بنفس الأمل واليقين مثل الزارع. من ثمّ، فإن غياب العلامات الخارجية للحياة يتساوى مع خسارة لا رجعة فيها. هذا لأننا لا نملك في داخلنا رؤية "الربيع الأبدي" وفرحة توقع ذلك اليوم الذي نشتاق إليه والذي "لا يعروه مساء". لقد صار ناس "هذا العصر" أحاديي البعد لدرجة أنهم اعتادوا على تعريف كل شيء من خلال القوانين الطبيعية.

هذه المأساة البشرية، التي تتخذ أشكالاً مختلفة في أوقات مختلفة، لها نقطة انطلاقها يوم سقوط آدم وحواء"الذي لا يصحُّ ذكره". بعصيانهما، قطعا علاقتهما بـ "مصدر الحياة"، وسقطا من جمال شِبه الله وصاروا وجهاً لوجه، مرة واحدة وإلى الأبد، مع نتانة الموت.

يكشف لنا الكتاب المقدس الشيطان، المصدر الشرير، "مخترع" الموت. ومع ذلك، لا يؤمن الناس، وهم "أغبياء وبطيئو القلوب" (لوقا ٢٤:٢٥). إنهم لا يقبلون بسهولة قيامة المسيح، لذلك قول الملاك: "لقد قام. ليس هو هنا" (مرقس ١٦:٦)، لا يعني شيئاً لهم ولا يطمئنهم من جهة قيامتهم.

إلى حد كبير، يتركّز عدم الإيمان بين الناس اليوم على قيامة الأجساد. هذا لأنهم لا يعرفون أن الموت، هذا "العقاب اللطيف" كان له تأثير وقوة مدمرة فقط حتى ذلك الفجر المتفائل في "أول الأسبوع" عندما وجدت النساء قبر المسيح فارغاً (مرقس ١٦:٢). لأن الرب القائم قد أطاح بالموت و "فتح أبواب الفردوس مرة أخرى". في ذلك الفجر، عبَرَ آدمُ المنفي بابتهاجٍ إلى الجانب الآخر، وداس على الصليب، على "جسر الحياة"، متّبعاً الكلمة القائم من بين الأموات والإله.

إن آلام المسيح وقيامته هما حدثان مترابطان ومكمّلان لبعضهما البعض، وهما تتويج لنشاطه الفدائي على الأرض. كما أن قيامة المسيح هي ملازمة لموته على الصليب، كذلك، عبورنا من حياتنا الأرضية إلى الأبدية ليس فناءً، بل تجاوزاً للفساد الأرضي و "ارتداءً لحلة عدم الفساد".

إن قيامة الأموات هي حقيقة أساسية في إيماننا. يقول القديس بولس إنه بدون يقين قيامتنا ، إيماننا لا معنى له وباطل (١ كورنثوس ١٧:١٥): " فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ.. وَلكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ. (١ كورنثوس ١٣:١٥-٢٣).

فالموت، إذن، قد هُزم بشكل قاطع، وقيامة الأموات أمر مفروغ منه. هذا هو السبب في أن آباءنا القديسين يتحدثون بيقين عن الربيع الذي من المؤكد أنه سيتبع فساد الشتاء، الفساد والتحلل الناجم عن موتنا في الجسد.

بالتأكيد سنعيش مرة أخرى في الجسد، ولكن "بهيئة أخرى" (مرقس ١٢:١٦). سنقوم ولن يخضع أحد منا من ثم لقانون الفساد والفناء. محادثة إرميا مع الله دقيقة للغاية هنا. الكلمة التي أتت من الرب إلى إرميا قائلة "«قُمِ انْزِلْ إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ وَهُنَاكَ أُسْمِعُكَ كَلاَمِي». فَنَزَلْتُ إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ، وَإِذَا هُوَ يَصْنَعُ عَمَلًا عَلَى الدُّولاَبِ. فَفَسَدَ الْوِعَاءُ الَّذِي كَانَ يَصْنَعُهُ مِنَ الطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ، فَعَادَ وَعَمِلَهُ وِعَاءً آخَرَ كَمَا حَسُنَ فِي عَيْنَيِ الْفَخَّارِيِّ أَنْ يَصْنَعَهُ. فَصَارَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلًا: «أَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَهذَا الْفَخَّارِيِّ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ هُوَذَا كَالطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ أَنْتُمْ هكَذَا بِيَدِي يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ.»"

المهم هو أن الخزاف هو أبونا القدير الذي من قبل الدهور، الكلي الصلاح. لهذا نعلق رجاءنا عليه حتى من هذه الحياة هنا، كتذوق مسبق للحياة الأبدية وملكوته خارج الزمان.

إذن، قيامة الأموات ستتم بالتأكيد. سيرتفع صوت بوق الملاك بالتأكيد (رؤيا ١١:١٥-١٨). لكن المهم بالنسبة لنا هو أننا يجب أن ننجز شيئًا في حياتنا على الأرض من أجل تقديس نفوسنا وأجسادنا، حتى لا تكون القيامة "للدينونة" بالنسبة لنا، بل "للحياة الأبدية" (متى ٤٦:٢٥).

إن لذكر الموت واليقظة والتهيؤ المستمر لخروجنا الوشيك من العالم إلى الفردوس فائدة خاصة لنا في هذا الاستعداد. إن ذكر الموت ينعش الروح وينمّي وجودنا، ملزماً إيانا على الطريق الذي لا ينتهي "من مجد إلى مجد" (٢ كورنثوس ١٨:٣). ينسجم ذكر الموت أيضاً مع رغبة الخليقة كلها، التي، على الرغم من أنها كانت تئن في آلام المخاض حتى الآن (رومية ٨ ، ٢٢) ، إلا أنها لا تزال تتغذى بالرجاء وتنتظر تحررها و"ما وراء" الأبدي.

إن المشهد الصوفي لـ"الضفة المقابلة"، لوطننا الأبدي، يحصننا على الطريق نحو التقدّس وفي جهودنا لإعداد أنفسنا، قدر استطاعتنا، لـ "اللحظة العظيمة"، اللقاء الرؤيوي مع "المحبوب الوحيد".

إلى ذلك، فإن توقع انتقالنا إلى وطننا السماوي الحقيقي هو تشجيع لنا على تطوير علاقات أوثق مع مواطني السماء، الملائكة القديسين، كما مع إخوتنا وأخواتنا الذين تمجدوا، والذين عاشوا في الرب ورقدوا على رجاء

الحياة الأبدية. لأن الملائكة القديسين وآباءنا وإخواننا الذين رحلوا عن هذه الحياة بالفعل يراقبون جهادنا ويدعموننا بمحبةٍ بشفاعاتهم المقدسة لدى مانح حياتنا وراعيها.

إن ذكر الموت وحفظ الوصايا وعلاقتنا بالعالم الملائكي والمنتقلين عنا تؤدي إلى تناقص مستمر في الأنا. إنها تساعدنا أيضاً على قطع إرادتنا وإخضاع حياتنا ووجودنا بالكامل لمشيئة الله. أخيراً، إنها تقوينا في تقبّلنا لوفاة أحبائنا، وفي الوقت نفسه، تشجعنا على الاهتمام بأنفسنا والاستعداد بجدية أكبر لمسألة انتقالنا.

عندما تتجه بوصلة حياتنا نحو مقصدنا، يفقد مفهوم الموت طبيعته المهدِّدة ويتحول إلى "منظر ما هو غير مرئي"، إلى امتداد لوجودنا إلى أبدية الله، وفي النهاية إلى توقع تلك اللحظة الفريدة من نوعها التي ستأخذنا إلى "عيدنا العظيم".

إذا كان كل هذا في مكانه، فإن حياتنا تكتسب معنى مختلفاً ونسرع لتكميل توبتنا وجعل أنفسنا أوعية لميرون الحياة الجديدة. لأن كل واحد منا يعرف أنه في ذلك الوقت، سيُستَعلَن كل شيء وستُكشَف جميع أعمالنا، كل النسيج الذي حيك خلال حياتنا على زيغ، صورة الله التي فيها خلقنا.

بالنسبة لأبناء المسيح الحقيقيين، الموت هو عيد عظيم، استعداداً له نجاهد ونعمل كل أيام حياتنا. إن الجهاد للتهيئة لهذا العيد يحرّك أيضاً روح التوبة واليقظة واستعداد العذارى الحكيمات في المثل. كما أنه يجعلنا كائنات تسبيح وشكر، خاصة في أوقات الألم وفي ضيقات الحياة. على هذا المنوال، يكون للمؤمنين تذوق مسبَق للملكوت الآتي وفرح ببعدهم الأبدي في المسيح واعتراف بأن "الساعة آتية وهي الآن" (أنظر يوحنا ٢٣:٤). إلى هذا، فإن هذا الموقف من الحياة يحوّل الزمن الحالي إلى جسر صلب يمكن للمسيحيين أن يجتازوه بأمان ويدخلوا إلى مظلة أبنائه الأبدية، مظلة " الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ" (رؤيا ١٤:٧).

في نور الأبدية الذي لا يغرب، سيتم الكشف عن صورة حياتنا. عندها ستشرق أعمالنا وسيظهر الجهد الذي بذله كل واحد منا للحفاظ على محبته لله ولأخيه مصونة، وسيظهر الإيمان الذي لا تشوبه شائبة. هناك سنرى مقدار صبرنا. سوف يتّضح من ثمّ ما إذا كنا قد عملنا مثل "وكيل أمين'' (لوقا ٤٢:١٢)على أرضية صورة الله التي أنعم علينا بها الآب الخالق الكلي الصلاح عندما أخذنا كياننا منه، مع إمكانية أن نكون أولاده في كل الأبدية (يوحنا ١٢:١).

كل شيء إذن، يجب تفسيره من منظور ما بعد القبر. على غرار الحياة الروحية، تبدأ حلاوة ثمار جهادنا في الظهور بعد أن نقبل بالفعل صليبنا الشخصي ونتخلّى عن إرادتنا، لذلك أيضاً، تصبح المسرات الأبدية والخالدة مرئية بشكل أساسي عندما نخترق حاجز الأنا الأخير عندنا. بعبارة أخرى، عندما "في كل شيء ومن جهة كل شيء''، نودِع جسدنا وروحنا في يديه كتقدمة أخيرة لشكر مَن أعطانا الحياة والحرية كهدايا ثمينة و'' هِبَاتِ بِلاَ نَدَامَةٍ''. (رومية١١:٢٩).

إذا عاش المؤمنون وتقدّموا في هذه الخبرات، يمكنهم حينئذٍ الوقوف في وجه قسوة هذه الحياة ومعضلاتها، لا محاولةً لتجنبها، بل إكراماً لصليبهم ومقاربة لكل أحزان الحياة مثل لمس "هدب ثوبه" (متى ٢٠:٩). وبهذا،

يحصل المؤمنون على تذوق مسبَق للاحتفال السماوي العظيم، فلا يتحمّلون بصبر وحسب كل حزن ومحنة، بل أيضًا يرغبون، أو بالأحرى يسارعون إلى الوصول إلى وطنهم الأبدي (القديس إغناطيوس المتوشح بالله). بعبارة أخرى، إن موت الجسد ليس النهاية بل البداية. إنه الولادة لحياة جديدة أعطانا إياها المسيح بصليبه وقيامته المقدسة.

من بعد قيامة المسيح، لم يعد المؤمنون يحزنون على الذين انتقلوا من هذه الحياة، ولا يهتمون بما سيحدث عندما يتركون وراءهم الأشياء الزائلة على هذه الأرض. إنهم يعيشون ببساطة لكي يتقدّسوا، من أجل سيدهم الذي تألّم وقام، وهم يرتلون بفرح في كل الأوقات: "المسيح قام".

Source: Holy Monastery of St John the Vaptist, Kareas Attikis. I Await the Resurrection of the Dead (2 parts). Pemptousia. Religion / Theology. 15 April 2023 and 16 April 2023.
https://pemptousia.com/2023/04/i-await-the-resurrection-of-the-dead-part-1/ and
https://pemptousia.com/2023/04/i-await-the-resurrection-of-the-dead-part-2/

الغريب

الأستاذ جورج مانتزاريذس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

الخليقة تعاني آلام خالقها. تحجب الشمس أشعتها. الأرض تهتز وحجاب الهيكل ينشق إلى اثنين "من أعلى إلى أسفل" (متى ٥١:٢٧). يُقتل المخلص ويوسف الرامي، وهو تلميذ سري للمسيح، يقدّم نفسه لبيلاطس ليطلب جسد معلمه: "أعطني هذا الغريب''، صرخ ، "الذي منذ طفوليته تغرَّب كغريب، أعطني هذا الغريب الذي أبناء جنسه حكموا عليه بالموت بغضاً كغريب".

يكشف تلميذ المسيح السري الاسم السري لمعلمه، الاسم الذي رافقه طوال حياته، من الطفولة إلى موته على الصليب: "غريب".

عندما ولد في بيت لحم، لفَّته والدته بأقماط ووضعته في مذود لأنه لم يكن هناك مكان في النزل (أنظر لوقا ٢ ، ٧): لقد كان غريباً.

جاء المسيح، ابن الله وكلمته، مخلص العالم، وعاش في العالم كشخص بلا مأوى، "غريباً منذ الطفولة" "الغريب" بشكل نهائي.

صانع العالم وخالق الجنس البشري "أتى إلى بيته* وخاصته لم تقبله" (يوحنا ١١:١). أتى زائراً لأقاربه ولم يرحّبوا به. عاملوه كغريب وحسدوه وكرهوه واستهزؤوا به وقتلوه. إنه لأمر مرير أن تعيش في بلد أجنبي في مكان ما كغريب. بل والأسوأ من ذلك هو أن تعيش في وطنك كغريب بلا مأوى. أن يكون لديك شعبك، أن ينظر إليك أبناؤك بريبة وبغض مميت.

هذا كان نوع المنفى الذي اختبره الله عندما أتى وعاش كشخص بشري في العالم. هذه الغربة خَتَمَت كلّ حياة المسيح على الأرض. الغربة التي أبعدت عنه حتى أقرب تلاميذه. إنها لغربة لدودة.

والآن، بعد صلبه وقتله، جاء يوسف المشير الشريف من الرامة (مرقس ٤٣:١٥) وطلب من بيلاطس الإذن بأخذ جثة هذا الغريب: "أعطني هذا الغريب لكي في لحدٍ أواريه، إذ بما أنه غريبٌ ليس له أين يسند رأسه".

"لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ»" (متى ٢٠:٨)، هذا ما قاله الغريب لأحد الفريسيين الذي طلب أن يتبعه.

في النهاية، أعطي هذا الغريب مكاناً يسند إليه رأسه من الكتبة والفريسيين: أعطوه الصليب. " وَأسند رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ." (يوحنا ٣٠:١٩).

هذا الغريب الذي عرف كيف يسكِن "الفقراء والغرباء" أخذه يوسف من بيلاطس ليوضع في قبره. أخذه ووضعه "في قبر جديد" (متى ٦٠:٢٧) هو "الذي يمنح الجميع الحياة الأبدية والرحمة العظمى".

"وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ." (يوحنا ١٢:١).

يوسف، الذي أخذ جسد المسيح وأضجعه في القبر، وفي الواقع، كل الذين يقبلونه ويؤمنون باسمه لهم "السلطان"، الحق، في أن يصبحوا أولاد الله، آلهة بالنعمة. إنهم يكتسبون "الحياة الأبدية والرحمة العظمى".
"إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ." (يوحنا ٢٤:١٢).
الحنطة التي سقطت على الأرض وماتت، الخبز الحي الذي نزل من السماء، قُدِّم "لحياة العالم" (يو ٣٥:٦-٤١) وأتى بثمر كثير. لقد أنتج عدداً كبيراً من الأشخاص الذين ابتعدوا عن العالم وعاشوا في العالم كأنوار للعالم.
كثير من الناس ماتوا عن العالم ليعيشوا. المسيح خضع طوعاً للموت لكي يحيا العالم.

* العبارة باليونانية تعني حرفياً "خاصته" هي مصطلح يعني "البيت". أنظر يوحنا ٢٧:١٩.

Source: George Mantzarides, Professor Emeritus of the Theological School of the Aristotle University of Thessaloniki. The Stranger. Pemptousia. Religion / Theology. 14 April 2023.
https://pemptousia.com/2023/04/the-stranger-2/

"دعونا نختار الحياة"

المتقدم في الكهنة الأب جورج فلوروفسكي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

لقد أُعطيَت للنبي رؤية مجيدة. إذ أُخِذ حزقيال النبي بيد الرب إلى وادي الموت، وادي اليأس والخراب. لم يكن فيه شيء حي. لم يكن هناك شيء سوى العظام اليابسة، وكانت بالفعل جافة جداً. كان هذا كل ما تبقى من الذين كانوا في وقتٍ ما أحياءً. ذهبت الحياة.

وطُرح سؤال على النبي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هذِهِ الْعِظَامُ؟» (حزقيال ٣:٣٧) من الواضح أن الجواب البشري على هذا السؤال هو لا. الحياة لا تعود أبداً. الميت مرة، ميت إلى الأبد. لا يمكن أن تخرج الحياة من التراب والرماد. "لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ نَمُوتَ وَنَكُونَ كَالْمَاءِ الْمُهْرَاقِ عَلَى الأَرْضِ الَّذِي لاَ يُجْمَعُ أَيْضًا." (٢ صموئيل ١٤:١٤). الموت هو النهاية التامة، إحباط كامل لآمال الإنسان وآفاقه. يأتي الموت من الخطيئة ، من السقطة الجدية. لم يكنْ عملاً إلهياً. لم يكن موت الإنسان من الترتيب الإلهي للخلق. لم يكن من العادي أو الطبيعي أن يموت الإنسان. لقد كان اغتراباً غير طبيعي عن الله صانع الإنسان وسيده، حتى الموت الجسدي، أي انفصال النفس عن الجسد. إن قابلية الموت عند الإنسان هي وصمة العار أو "أجرة" الخطيئة (رومية ٦:٢٣).

لقد فقد العديد من المسيحيين اليوم هذا المفهوم الكتابي للموت والفناء، ويعتبرون الموت بالمُجمَلِ إطلاقاً، وتحريراً لروح خالدة من عبودية الجسد. وبقدر انتشارِ هذا المفهوم للموت في الواقع، فإنه غريب تماماً عن الكتاب المقدس. في الواقع، إنه تصور يوناني وثني.[١] الموت ليس تحرراً، إنه كارثة. "أنوح وأنتحب متى تفطنّت بالموت ونظرت جمالنا المخلوق على صورة الله موضوعاً في القبور، لا صورة ولا شرف ولا منظر. فيا له من عجب! ما هذا السرّ الصائر بنا؟ كيف أُسلِمنا إلى الفساد؟ وكيف ازدوجنا بالموت؟"(القديس يوحنا الدمشقي في خدمة الجناز). لم يعد الإنسان الميت إنساناً بعد الآن. فالإنسان ليس جسداً أقل مما هو روح. الجسد والنفس متلازمان، وانفصالهما هو تحلل للكائن البشري. ما النفس التي لا جسد لها سوى شبح.

ما الجسد الذي لا نفس له إلا جثة. "لأنه ليس في الموت من يذكرك ولا في الجحيم من يعترف لك" (مزمور ٦:٥). أو مرة أخرى: "أفلعلك للأموات تصنع عجائب؟ أم الأطباء يقيمونهم فيعترفون لك؟ هل يُحدَّث في القبر برحمتك، أو في الهلاك بحقك، هل تُعرف في الظلمة عجائبك، وبرّك في أرض منسية" (مزمور ٨٨:١٠-١٢). وكان منشد المزامير على يقين تام: "هم من يدك مُقصَون" (٨٨:٥). الموت ميؤوس منه. وبالتالي فالجواب الوحيد المعقول الممكن إعطاؤه، من وجهة نظر الإنسان، للسؤال عن العظام اليابسة: لا، لن تعيش العظام اليابسة من جديد أبداً.

لكن الردّ الإلهي كان مختلفاً تماماً عن ذلك ولم يكن مجرد جواب بالكلمات، بل عملاً عظيماً من الله. حتّى كلمة الله تخلق: "لأنه قال فكان. هو أمَر فصار" (مزمور ٣٣:٩). وما يزال الله يتكلم ويعمل. يرسل روحه ويجدد وجه الأرض (مزمور ١٠٤:٣٠). روح الله مُحيٍ. [٢] لقد أُعطي النبي أن يشهد استعادة رائعة. بقوة الله، أعيد

تجميع العظام اليابسة وتوصيلها وتشكيلها وتغطيتها من جديد بلحمٍ حي، فعاد روح الحياة إلى الأجساد. ووقفت مرة أخرى بكامل قوتها "جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا". عادت الحياة وغُلِب الموت.

يتماشى تفسير هذه الرؤيا مع الرؤيا نفسها. تلك العظام كانت بيت إسرائيل، شعب الله المختار. ماتت بخطاياها وارتدادها، وسقطت في الحفرة التي صنعتها بنفسها وهُزمت ورُفضت وفقدت مجدها وحريتها وقوتها. إن إسرائيل، شعب المحبة الإلهية والتبني، مع أنه شعب عنيد ومتمرد وغليظ الرقبة، يبقى مع ذلك الشعب المختار... يُصعِده الله من جب الهلاك إلى المراعي الخضراء، من طين الحمأة، من مياه كثيرة، من حفرة مرعبة ، من الطين الموحِل.

لقد تحققت النبوءة وأتى الخلاص الموعود ذات يوم. المخلّص الموعود، الفادي، المسيا، جاء في الوقت المناسب، واسمه يسوع: "لأنه سيخلص شعبه من خطاياهم" (متى ٢١:١). كان "نور استعلان للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل" (لوقا ٣٢:٢).

ثم حدث شيء لا يصدق متناقض. لم يتعرّف شعبه عليه ولم يقبله، رفضه وشتمه، حُكم عليه وقُتِل كنبي كاذب، لا بل حتّى كنصّاب أو "مخادع". ذاك لأن المفهوم الجسدي للخلاص الذي كان الناس يتمسكون به كان مختلفاً تماماً عما كان في مخطط الله. بدل الأمير الأرضي الجبار الذي توقعه اليهود، جاء يسوع الناصري "وديعاً ومتواضع القلب" (متى ٢٩:١١). نزل ملك السماء، ملك الملوك نفسه، ملك المجد، ولكن بهيئة خادم. لا ليحكم، بل ليخدم كل "المتعبين والثقيلي الأحمال" (متى ٢٨:١١) وليمنحهم الراحة. بدلاً من ميثاق الحرية السياسية والاستقلال، جلب لشعبه ولجميع البشر ميثاق الخلاص، إنجيل الحياة الأبدية.

لقد جلب بدلاً من التحرر السياسي الحريةَ من الخطيئة والموت وغفران الخطايا والحياة الأبدية. جاء إلى خاصته ولم "تقبلْه". لقد أخضِع للموت، حتى الموت المخزي، و "أُحصي مع الأثمة". الحياة أخضِعَت للموت. الحياة الإلهية حُكِم عليها بالإعدام من البشر - هذا هو سر الصلب.

من جديد تصرَّفَ الله. "هذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ" (الرسول بطرس في أعمال الرسل ٢٣:٢-٢٤). خرج الحياة من القبر. المسيح قام، وخرج من قبره كختنٍ من خدره [٣]. ومعه قام الجنس البشري كله، أقيم جميع الناس بالفعل. إنه باكورة الراقدين، وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ" (١ كورنثوس ٢٠:١٥ و ٢٣). "حَتَّى كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيَّئَةُ فِي الْمَوْتِ، هكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ بِالْبِرِّ، لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (رومية ٢١:٥).

تُقرأ نبوءة حزقيال في الكنيسة الأرثوذكسية في سَحَر يوم السبت العظيم، في تلك الخدمة المجيدة التي يُدعى فيها المؤمنون إلى أن ينظروا قبر الرب، ذلك القبر المقدس الإلهي الذي منه انبثقت الحياة بوفرة لكل الخليقة. [٤] بين التراتيل والنشائد الجميلة الخاصة بهذا اليوم ، التقاريظ التي هي واحدة من أثمن إبداعات شعر العبادة، يُصوّر هذا السرّ الرهيب المعبود: الحياة موضوع في القبر ومن القبر تشرق الحياة. "لأن الساكن

في العلاء قد حُسِب بين الأموات ويضيف في قبر حقير" (القانون، أرمس الأودية الثامنة). يُدعى المؤمنون إلى التأمل والتعبد عند سرّ القبر الحامل الحياة والواهب لها.

ومع ذلك، تبقى النبوءة القديمة نبوءة، أو بالأحرى نبوءة وشهادة معاً. خرجت الحياة من القبر، لكن ملء الحياة لا يزال آتياً. إن الجنس البشري، حتى المفتَدين، وحتى الكنيسة نفسها، لا يزالون في وادي ظل الموت. إن بيت إسرائيل الله الجديد يشبه إلى حد كبير العظام اليابسة. هناك القليل من الحياة الحقيقية فينا جميعاً. لا يزال المسار التاريخي للإنسان مأساوياً وغير آمن. لقد رجعنا جميعاً، في السنوات الأخيرة [٥] إلى وادي الموت. يدرك كل منا، إذ يسير على أنقاض مدن كانت مزدهرة ذات يوم، القوة الرهيبة للموت والدمار. لا يزال الإنسان ينشر الموت والخراب. قد يتوقع المرء أشياء قادمة أكثر سوءاً. لان أصل الموت هو الخطيئة. لا عجب أن هناك، في كثير من الأوساط المختلفة، فَهمٌ متزايد لخطورة الخطيئة.

يجد القول القديم للقديس أوغسطين أصداء جديدة في النفوس البشرية: (Nondum mindasti quanti ponderis sit peccatum، "أنت لا تفهم أبدًا ما هو وزن الخطيئة"). [٦] إن قوة الموت قد انكسرت حقاً. حقاً قام المسيح. "أمير الحياة الذي مات، يملك إلى الأبد". [٧] روح الله، المعزي، رازق الحياة، [٨] أُرسِل على الأرض ليختم انتصار المسيح، ويسكن في الكنيسة، منذ العنصرة. إن هبة الحياة، الحياة الحقيقية، قد أُعطيت للبشر، وهي تُعطى لهم باستمرار وبوفرة وبشكل متزايد. إنها تُقدّم، ولكن لا "يتم تلقيها" دائماً بسهولة. فمن أجل حث الخطى حقاً، على الإنسان أن يتغلب على رغباته الجسدية، "أن يطرح عنه كل الاهتمامات الدنيوية"، [٩] الكبرياء والظلم والكراهية والأنانية والرضا الذاتي، وحتى التخلي عن الذات. وإلا فإن الإنسان يطفئ الروح. يقرع الله دائماً أبواب قلوب البشر، لكن الإنسان نفسه هو مَن يفتحها!

الله لا يدخل عنوة أبداً عن طريق العنف. إنه يحترم، بحسب تعبير القديس إيريناوس ليون "ناموس حرية الإنسان القديم" [Adv. haeres.، IV، 37، 1، PG 7.1099B] الذي وضعه بنفسه. بالتأكيد، بدونه، بدون المسيح ، لا يمكن للإنسان أن يفعل شيئاً. ومع ذلك، هناك شيء واحد يمكن أن يفعله الإنسان - وهو الاستجابة للدعوة الإلهية و "قبول" المسيح. وهذا ما يفشل الكثيرون في عمله.

نحن نعيش في عصر كئيب ومتوتر. الشعور بالأمن التاريخي صار مفقوداً منذ فترة طويلة. يبدو على الأرجح أن حضارتنا التقليدية قد تنهار تماماً وتسقط أجزاء. الإحساس بالاتجاه أيضاً مشوش. ما من مخرج من هذا المأزق والضائقة ما لم يحدث تغيير جذري. إلا إذا... في اللغة المسيحية تُقرأ: إلا إذا تبنا، إلا إذا طلبنا هبة التوبة... الحياة معطاة بوفرة لجميع الناس، ومع ذلك ما زلنا أمواتاً. "تُوبُوا وَارْجِعُوا عَنْ كُلِّ مَعَاصِيكُمْ، وَلاَ يَكُونُ لَكُمُ الإِثْمُ مَهْلَكَةً. اِطْرَحُوا عَنْكُمْ كُلَّ مَعَاصِيكُمُ الَّتِي عَصَيْتُمْ بِهَا، وَاعْمَلُوا لأَنْفُسِكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا وَرُوحًا جَدِيدَةً. فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟ لأَنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا"(حزقيال ١٨:٣٠-٣٢).

هناك طريقان: "أُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ... أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ" (تثنية٣٠:١٥و ١٩).

فلنختَر الحياة... أولاً، علينا أن نكرّس كل حياتنا لله و "نتقبّله" أو نقبله ربّاً وسيداً وحيداً لنا، وهذا ليس فقط بروح الطاعة الشكلية، بل بروح المحبة. لانه إلى كونه سيدنا هو أبونا. أن نحبه يعني أيضاً أن نخدمه، وأن نتّخذ قصده خاصاً بنا، وأن نشارك مقاصده وأهدافه. "من الآن لاَ أُعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي" (يوحنا ١٥:١٥).

لقد ترك لنا ربّنا عمله الخاص لنتابعه وننجزه. علينا أن ندخل في روح عمله الفادي. وقد مُنِحنا القوة للقيام بذلك. لقد أُعطينا القوة لنكون أبناء الله. حتى الابن الضال لم يُسمح له أن يفقد امتياز الولادة ويُحسب من بين الأجراء (لو ١٥:٢٢-٢٤). بل وأكثر من ذلك، نحن أعضاء المسيح، في الكنيسة التي هي جسده. حياته تسكن فينا بالروح القدس.

وبالتالي، ثانياً، علينا أن نقترب من بعضنا ونبحث في كل حياتنا عن تلك الوحدة التي كانت في ذهن ربنا المبارك في يومه الأخير، قبل الآلام والصليب: ليكن الجميع واحداً - في الإيمان والمحبة، واحداً - فيه (يوحنا ١٧:٢١).

لا يزال العالم منقسماً تماماً. هناك الكثير من الخصومة والانقسام حتى بين الذين يدّعون أنهم من المسيح. السلام بين الأمم وقبل كل شيء الوحدة بين المسيحيين، هذا هو الواجب المشترك الملزم، وهذه هي أمر اليوم الأكثر إلحاحاً. وبالتأكيد فإن المصير النهائي للإنسان لا يُقرر في ساحات القتال ولا من خلال مداولات الرجال الأذكياء. إن مصير الإنسان يتقرر في قلوب البشر.

هل سوف يكون محبوساً حتى عند طرق الآب السماوي؟ أم أن الإنسان سوف ينجح في تحريره استجابة لنداء المحبة الإلهية؟

حتى في أيامنا الكئيبة هناك بوادر أمل. ليس هناك فقط "ظلمة" وقت الظهيرة (أنظر متى ٢٧:٤٥)، بل أيضاً أنوار في الليل (أنظر لوقا ٢:٨-٩). هناك بحث متزايد عن الوحدة. لكن الوحدة الحقيقية هي فقط في الحق، في ملء الحق. "كفّ شقاقات الكنائس، أخمد تشامخ الأمم. إقمع سريعاً ثورات البدع بقوة روحك القدوس" (ليتورجيا القديس باسيليوس) [١٠]. إن الحياة معطاة بوفرة.

علينا أن نراقب - لا أن نفوّت يوم افتقادِنا، لأن إسرائيل القديم كان قد فوّت افتقادَه. "كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!" (متى ٢٣:٣٧). لنختَر الحياة بمعرفة الآب وابنه الوحيد، ربنا، بقوة الروح القدس. وبعد ذلك يتجلى مجد الصليب والقيامة في حياتنا. وسوف تتحقق النبوءة المجيدة القديمة من جديد. " هأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ... فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ الرَّبُّ" (حزقيال٣٧:١٢ و ١٤).

ها أنا أفتح قبورك يا شعبي وأصعدك من قبورك وأدخلك إلى أرض إسرائيل. . . ستعلم أني أنا الرب تكلمت به وقمت به ، يقول الرب (حز ٣٧:١٢ ، ١٤).

[1] For a more detailed discussion, see Georges Florovsky, ‘Redemption’, CW, III, 111–125 and ‘The “Immortality” of the Soul’ (1952), CW, III, 213–240 [Eds.].

[٢] يُطلق على الروح القدس اسم "المحيي" في كلٍ من قانون الإيمان النيقاوي وصلاة استدعاء الروح القدس التي تُقال في بداية الخِدَم في الكنيسة الأرثوذكسية (أيها الملك السماوي) [المحرر].

[٣] إن صورة المسيح البازغ من القبر كختن (عريس) من الخدر هي موضوع متكرر في الترانيم الأرثوذكسية، لا سيما في سحر الختن في الأسبوع العظيم [المحرر].

[٤] تُتلى القراءة حزقيال ٣٧: ١-١٤ في سحر يوم السبت المقدس من الأسبوع العظيم، وهو يُقام مساء الجمعة[المحرر].

[٥] أُلقيت هذه العظة في عام ١٩٥٣ ، وكانت ذكرى الحرب العالمية الثانية ما تزال حاضرة بقوة فيما كانت الحرب الكورية لا تزال مستعرة [المحرر].

[٦] هذا الاستشهاد ليس من أوغسطين بل من Cur Deus homo? (I, 21) لأنسيلم كانتربري (١٠٣٣ / ١١٠٩-٤) [المحرر].

][٧] من سلسلة Victimae paschali laudes من القرن الحادي عشر، التي تُقرأ أو تُرتّل في أحد الفصح في الطقس الغربي [المحرر].

[٨] من صلاة استدعاء الروح القدس [المحرر].

[٩] من الشاروبيكون الذي يرتّل على دخول القدسات الكبير في القداس الإلهي [المحرر]

[١٠] يتلو الكاهن هذا الجزء من الصلاة في قداس القديس باسيليوس (الذي يُقام أيام الآحاد خلال الصوم الكبير وفي عدة مناسبات أخرى في الكنيسة الأرثوذكسية)، بعد سلسلة التذكارات بعد التقدمة [المحرر].

Source: Georges Florovsky delivered this sermon while he was dean of St Vladimir’s Orthodox Theological Seminary in New York. It was originally published as an editorial in St Vladimir’s Seminary Quarterly, 1, nos. 3–4 (1953): 4–8, under the title ‘O Ye Dry Bones’ (Blane #358).

حَبَّةُ خَرْدَل

الأب نقولا وهبة

قصة قصيرة

قرعَ باستعجالٍ على بابهم الحديدي وصاح:

- عمي إبراهيم... عمي إبراهيم!

- أين العم إبراهيم؟ سأل زوجته بتلهف.

- لقد خرجَ منذ قليل. أخذ البذور وذهب إلى البستان.

فعاجلَ راكضاً باتجاه البستان حاملاً على شفتيه كثيراً من الكلام، وفي قلبه الكثير من الغم. وما بين ضبابٍ ينقشع وشمسٍ تلتمع لاح ظل فلاحٍ عجوزٍ ينثرُ البذور بحرصٍ فوق التربة اليانعة.

- عمي إبراهيم! عمي إبراهيم! آه ها أنت أخيراً؛ كيف حالك؟

- نشكر الله... وكيف حالك أنت؟

- حالي... هه هه... آخ يا عم، إني متضايق وغاضب.

- خيرٌ إنشاء الله؟

- أي خير؟ لقد كسروا قلبنا جميعاً. آه... وبالتأكيد قلبك أنت... انتظر... أنا لا أرى وجهكَ مكفهراً ولا أشعر بأنّك مضطرب! ألم تعرف ما حصل؟

- بخصوصِ ماذا؟

- إيه يا عمي إبراهيم... كل الناس صارت تعرف. حتى إن ابن أخي اتصل بي من أمريكا وأرسل لي البيان.

- أتقصدُ البيان البطريركي؟

- نعم يا عم. ويا أسفاه... خلال بضعة شهور يحدث كل هذا؟ وأين؟ في كنيستنا المقدسة؟

- الكنيسة سفينةٌ تشق طريقها عبر بحرٍ هائجٍ... هذه المرة يبدو أن العاصفة قوية... فلا بأس علينا إن دخل قليلٌ من المياه إليها.

- قليلٌ من المياه! ماذا؟ قليل؟ ههه... يا عم إننا نكاد نغرق.

- لا يضطرب قلبكَ هكذا... طالما أن المسيح فيها فلن تتزعزع... وهل تعتقد مثل غيرك أن السفينة تعوم بسبب قوتها ومناعتها الخاصة؟ إنها تعوم وتسير فقط لأن سيدها فيها... حتى ولو تحطمت أشرعتها وملأتها المياه... فهو وحده من يحملها ومن يقودها ومن يوصلها إلى بر الأمان.

- إيه... دائماً تقول هذا... ولكن ما يحدث كبيرٌ وكبيرٌ جداً... مرةً راهبٌ موهوبٌ يُتَّهم بالتحرّش، وأخرى أسقفٌ يسرق الأموال... مطرانٌ يتهموه بأشياء فظيعة، ومعتمدٌ بطريركي في أوروبا يسرق الكنيسة ويبيع إيمانه. تخيّل! يبيع كنيسته وإيمانه.

- الله يرحمنا.

- كنّا نعتقد أن يهوذا قد شنقَ نفسه... لكن في كل يومٍ نرى يهوذا آخر.

- آخ يا بني... الله يرحمنا. هدِّئ من روعِك ولا تيأس وتكتئب... تعال... تعالَ انثر معي هذه البذور ولنتكلم قليلاً...

- يا عمي إبراهيم، صدقني، لم يعد لي رغبة في التفكير بهذا الأمر... لم يعد لدي حماسةٌ أن أذهب إلى الكنيسة... أين سأخفي وجهي من أولئك المتحذلقين الذين يهاجمون الإيمان... لقد أعطيناهم مادةً دسمةً ليهزؤوا بنا ويشجّعوا الناس على الإلحاد.

- لا تخفْ... "خرافي تعرفني وتميِّزُ صوتي". هكذا قال يسوع.

- يا عمي... إن كان هؤلاء الناس المتعلّمون والصالحون يفعلون هكذا أمور، فماذا سيفعلُ الخطأة أمثالي؟

- كل شيءٍ سيؤول للخير... دعكَ من هذا الكلام... تعال ننثر بذور الخردل هذه. هيا ساعدني! خذ... أمسك هذه البذور وارمها بحرصٍ داخل أثلام الأرض.

- إييه، أنا أحدثكَ عن وضع كنيستنا الحبيبة وأنت تريدني أن أزرع الخردل؟

- نعم... فبذار الخردل الصغيرة والتي لا يتعدى قطرها اثنان ميليمتر ستصبح نباتاتٍ قوية بنعمة الله. ويسوع المخلص علّمنا أن إيماناً بحجمها يستطيع أن ينقل الجبال. لنصلِّ علَّ جبلُ الهمِّ هذا ينتقل عن قلبكَ.

- نحن أناسٌ بسطاءُ يا عم. وورثنا إيماننا عن أهلنا... وبرغم الحرب والفاقة من جهة، وسبي العقول واستباحة الأخلاق من جهة أخرى إلا أننا لم ننسَ إيماننا البسيط... ولكن يبدو أن غيرنا قد نسيه! انظر... فمن تعلّم الإيمان في أكبر الجامعات قد أنكره. إنهم غير مستحقين لهذه المهمة وأعداءٌ للكنيسة... وهذا بالضبط ما سأقوله اليوم في اجتماع الرعية.

- حسناً، تستطيع أن تقول ما تشاء. ولكن فكّر معي قليلاً! انظر إلى حبات الخردل هذه التي نزرعها، ماذا ستقول إن عُدتَ إلى الحقل بعد عدة أشهرٍ ولم تجد النباتات قد نمت، هل ستقول أنَّ السببَ هو البذور؟

- لا لا (ممتعضاً) بالتأكيد لا... هذا أعرفه... المشكلة في الأرض! البذرة صالحة ولكن هم كانوا أرضاً رديئة.

- ربما، ولكن هذا ليس صحيحاً دائماً.

- ماذا تعني؟

- قد ترمي بذرةً صالحة في أرضٍ صالحة، ولكن مع هذا لا تنبتُ الشجرة.

- لماذا؟

- قد تكمن المشكلة في الرعاية. فبدون عناية ستموت البذرة وتبور الأرض. فالعناية جزءٌ لا يتجزأ من عملية الزراعة.

- ماذا تقصد؟

- لتفهم ما أقصد أجبني أولاً: أية وظيفةٍ أُسندت إلى آدم في جنة عدن؟

- أن يعملَ في الجنة ويحفظها؟ أليس كذلك يا عمي إبراهيم؟

- نعم... ولكن هل تعتقد أن أشجار الفردوس كانت تحتاج إلى عناية ورعاية... ألم توجد الجنة تحت رعاية الله... ألم يوجد فيها نهر منقسمٌ إلى أربعة فروعٍ؟ ألم يكن الضباب كلّ صباح يترك خلفه الندى ليرويها؟
- نعم... معكَ حق... إذن لماذا طلب الله من آدم أن يعمل في الجنة ويحفظها؟
- لأنه وكيل الله على خليقته، وعليه أن يقوم بوكالته جيداً ويعمل عمل الله على الأرض. وعلى كل وكيلٍ أن يعتني بمن هم تحت وصايته، وإلا لم يكن وكيلاً أميناً.
- يعني يا عمي إبراهيم... المشكلة ليست في البذرة ولا في التربة بل في الوكيل الذي أهملَ السقاية والعناية؟
- في كثير من الحالات الجواب هو نعم. نحن نحتاج إلى رعاية للرعاة. رعاية بقدر حبة الخردل. وإلا سنبقى نعالج العَرَض ونتغافل عن السبب.
- رعايةٌ للرعاة؟ وبقدر حبة الخردل؟ أنا لم أفهم.
- كل نبعٍ لا يغتذي يَجفّ، وكل شيءٍ تأخذ منه ولا تملأه يخفّ.
- رعاية الراعي ليرعى! هه، هذا شيءٌ جديد... هل تستطيع أن توضِّح لي فكرتَك؟
- سأحاول، ولكني عِدني أولاً أن تقول ما ستسمعه في اجتماع الرعية اليوم، وأن تزيد عليه ما ينقصُ بسبب ضعفي وخطيئتي.
- أعدك يا عمي إبراهيم. (قالها متحمساً) قل لي فقط!
- نحن لدينا سرٌ عظيمٌ يدعى التوبة والاعتراف. هو سرٌ جوهريٌ في الكنيسة. وبدون ممارسته سنبقى مرضى.
- نعم هكذا يقول القديس اسحق السوري: المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه هيّن، أما القلب القاسي فتكثر أوجاعه، والمريض الذي يخالف الطبيب يزيد عذابه.
- نعم. زدْ على هذا أن أول كلمةٍ نادى بها الرب يسوع كانت: توبوا، فقد اقترب ملكوت الله.
- نعم. في إنجيل القديس مرقس.
- أحسنت. فإن كانت الكنيسة وآباؤها القديسون ينصحون المؤمنين بشدة بممارسة سر التوبة والاعتراف لأنه أساسيٌ ولازمٌ لخلاصهم، وَجَبَ على الكنيسة ضمن هذه الظروف أن تجعل هذا السر إلزامياً بالنسبة لرعاتها والعاملين فيها.
- أتعني أن تسُنَّ الكنيسة قانوناً يلزم كلَّ رعاتها بأن يمارسوا سر التوبة والاعتراف كما سر الإفخارستيا؟
- نعم. فالرعاة أيضاً بشر. وهم كغيرهم بحاجة إلى رعاية روحية. هم ليسوا معصومين عن الخطأ. وقد يسقطون بدون الإرشاد مثل أوراق شجرٍ خريفية. الخطيئة تعمينا عن رؤية الحق، وإن لم نتحرر منها بالإرشاد والتوبة سيَصُحّ فينا القول الإنجيلي: أعمى يقودُ أعمى.
- إذاً لذلك يحثّنا القديس يعقوب بأن نعترف بعضنا لبعضٍ بالزلات ونصلي لبعضٍ لكي نُشفى.
- أصبت. فإن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ أن يغفر خطايانا ويطهرنا من كل دنس.
- فهمت يا عمي إبراهيم... يجب جعل سر الاعتراف إلزامياً للعاملين في الكنيسة من أعلى الهرم إلى أسفله، ومراقبة حسنِ تطبيق هذا الأمر. هذا سيدعم الرعاة روحياً ويساهم في تجديدهم الداخلي. هذه الفكرة لن

تروق للبعض لأنها خارج نطاق التفكير المعتاد. ولكن على كلٍّ حال، لقد سجلت هذا في مدونتي. هل من نصيحةٍ أخرى؟

- الأمرُ الثاني الذي سأحدِّثكَ عنه هو شيءٌ خطيرٌ أطلق عليه مخلصنا لقب "الرب". هل تعرف ما هو؟

- نعم. إنه المال. لقد قال يسوع: لا تستطيعوا أن تعبدوا ربَّين.

- يقف المال كشبحٍ خفيٍ وراء الكثير من الأزمات في العائلة والمجتمع والكنيسة.

- نعم. كل شيءٍ تقريباً يتحكم به هذا المارد اللعين. حتى الحروب تنشأ بسببه. إنه ربٌ لكثيرين.

- لذا علينا في الكنيسة أن نرجع هذا المارد إلى قمقُمِه، وأن ننتزعَ منه قوته التي يتسلط بها على كثيرين.

- كيف يمكننا هذا. فالمال ربٌ قادرٌ على دغدغة الأحلام البشرية.

- يُنصِّب المال نفسه سيداً على حياةِ البعض، لأنه يستغلُّ خوفهم من المستقبل. وهذا ما يحدث في حالِ كثيرٍ من الرعاة. ففي الكثير من الأبرشيات لا يوجد حتى الآن راتبٌ واضحٌ للكهنة ولا تقاعدٌ يضمن شيخوخةً مكرّمة. وهذا الخوف قد يستعبد المرء، فيبدأ يكدِّس الأموال بحجة ضمان آخرته، ومن ثم يدغدغ المال شهوته فيقيده بها.

- وما الحل أمام هذه المشكلة؟

- إن كان المال يُوقِعُ بنا بسببٍ من خوفنا، فإنَّ استبدال الخوف بالطمأنينة في قلب الراعي سيجعله يقف صنديداً في وجه التجربة. لذا فإن وضوح كيفية حصول الراعي على المال، وتحديد راتبٍ مناسب وتقاعدٍ مقبول يضع الراعي في البيئة المناسبة لمواجهة تجربة حب المال.

- هذا صحيح... إنه مطلبٌ بديهي. سأكتب هذا في مدونتي: راتبٌ محترم، تقاعدٌ مكرَّم وضمانٌ صحي . هذا طبيعي في عصرنا.

- ولكنه ليس طبيعياً في كنيستنا.

- إذاً لهذا تحدث أحياناً سرقات أو تجاوزات؟

- ليس بسبب هذا فقط، بل بسبب نظام الإدارة المالية البالي. هذا النظام المهترئ يذّكرُ بالفريسيين، نظامٌ يصفِّي البعوضة ويبلع الجمل.

- ههه، يبلع السيارات والأراضي أيضاً.

- ثم لماذا موضوع المال في كنيستنا هو من المحرمات؟ ففي الكنيسة تستطيع أن تناقش عقيدة الثالوث، وتخضع مقاطع الكتاب المقدس لمدارس النقد الحديثة، أما أن تسأل كم تملك هذه الأبرشية من مال، أو كيف يتحمل هذا المطران أو الكاهن تكاليف حياته الفارهة؟ أو كم راتبه؟ فإنك حينئذٍ تتدخل في المحرمات، وربما تُلعن كالهراطقة.

- الحق معك... الويلُ لمن يسأل عن المال... الويلُ لمن تسوّل له نفسه أن يسأل من أين لك هذا. مثل هذا الشخص هو أناثيما وقد سقط في ضلالة آريوس ونسطوريوس.

- أخيراً أريد أن أحدثك عما يُسمى بالحدِّ الأدنى.

- وهل تقصد بهذا كمثل الحدِّ الأدنى لقبول طالبٍ في جامعةٍ معينة؟
- بالضبط. وهو ما سيمونه أحياناً: بمعدّل القبول... وفي العاميَّة بـ"أضعفِ الإيمان".
- حدثني من فضلك. فالموضوع فريد.
- لكل أمرٍ في الدنيا حدٌ أدنى. ودونه لا يكون الشيء أو الأمر مقبولاً. فمثلاً ما رأيك... ما هو الحد الأدنى لبيتٍ صالحٍ للسكن؟
- ليكونَ البيتُ بيتاً يجب أن يكون له أساساتٌ وجدرانٌ ونوافذ وأبواب.
- ماذا عن ألوان الجدران؟
- كلا يا عمي إبراهيم. إن إكساء البيت وألوان جدرانه ونوعية مفروشاته ونظافته هي شأن من يسكنه.
- أحسنت. هذا بالضبط الحدُّ الأدنى.
- وما علاقة هذا بالكنيسة ومشاكلنا؟
- علينا أن نبحثَ معاً وبتحديدٍ عن الحد الأدنى المطلوب من الرعية والراعي روحياً واجتماعياً ومالياً. ما هو المعيار الذي من خلاله نستطيع الحكم على رعية أو مجلس رعية أو راعي بأنه يتمم عمله أو أنه يستحق الإشادة أو التنبيه. تحديدُ الحد الأدنى للأداء المطلوب والمتناسب مع هذا العصر، وتعميم هذا الحد على كافة الرعايا -مع مراعاة خصوصيتها- سيسمح بقراءةٍ واضحة لعمل الكنيسة وأفرادها بشكلٍ عملي ودعم المقصِّرين وإثابة المخلِصين. هذا أضعف الإيمان.
- ولكن هناك رعايا وكهنة لديهم ظروفٌ خاصة، وأحياناً عقلياتٌ خاصة.
- عقلياتٌ خاصة... ما هذا؟ أما نحن فلنا فكر المسيح. أما إن كانت الظروف في مدينة أو رعية لا تسمح بتحقيق الحدِّ الأدنى، فهذا أمرٌ مبارك. لأنه يتيح للمطران أو الرعايا المجاورة فرصة تطبيق عمل السامري الرحيم. بهذا يتعزز دور التنمية والتكافل بين الرعايا والأبرشيات. فالكاهن الذي يعظ جيداً يساعد بأمر مطرانه أخاه غير الموهوب بهذه النقطة. ومن لديه موهبة في رعاية الشباب وتنظيم المخيمات يدعم أخاه ليصل به إلى الحد الأدنى. وإن تمَّ تطبيق هذا المبدأ لاحقاً بين الأبرشيات، صار من الممكن أن تساعد الواحدة الأخرى بشكلٍ أكثر فعالية، ولا تكتفي بالاهتمام بتنميتها الذاتية.
- كما جاء على لسان الابن الشاطر: هناك يَفضُلُ عنهم الخبز، وأنا هنا أهلكُ جوعاً.
- بالضبط. "وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كلُّ شيءٍ مشتركاً!"
- أضعف الإيمان! أعجبتني الفكرة. عندها سنكون مثل الجسد الذي تعضدُ فيه الأعضاء بعضها البعض.
- جسد المسيح.
- والبداية: حبَّةُ خردَل.

كتب هذه القصة الأب نقولا وهبة، كاهن الرعية الأرثوذكسية الأنطاكية في فيينا، في الثالث من أيار لعام ٢٠٢٣. وكتب معلقاً في نهاية نصه: "ولا أعرف ما اسم القديس الذي يصادف عيده اليوم... لأني لم أقرأ السنكسار ولم أصلِّ إلا أبانا في الصباح".